المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبيات

أ.د.محمد أمحزون

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مكناس- المغرب

www.eajaz.org

مقدمة

إن الكتاب العزيز حجة الله تعالى على عباده منذ أول لحظة من نزوله. ولئن كان إعجاز القرآن ظاهرا في فصاحته و بلاغته و أسلوبه ونظمه، وقد أذعن العرب لتحديه و سلموا له بذلك رغم أنهم كانوا أفصح الأمم و أقدرها على البيان، فهو ما يزال معجزا للعرب و غيرهم من الأمم، بل معجزا الإنس و الجن:} قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا{(الإسراء:٨٨).

وكيف لا يكون أمر القرآن الكريم كذلك، وهو كلام الله عز وجل العليم الحكيم الخبير المحيط بكل شيء: {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم{ (لقمان:٢٧).

و لذلك كان عطاء القرآن الكريم متجددا ومستمرا باستمرار البشرية على سطح هذا الكوكب، فاستعمل سبحانه وتعالى حرف السين(سنوريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) (فصلت:٥٣)، لبيان استمرارية العطاء وتجدده ومواكبته لكل تطور بشري. و لهذا وصف القرآن المجيد في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه:» ... ولا تنقضي عجائبه و لا يخلق عن كثرة الرد».[1]

www.eajaz.org

(١) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، ج ٢، ص ٤٣١. حديث ضعيف ولكن معناه صحيح .

الحرب بين الفرس والروم

كان نظام العالم في نهاية العصر القديم يقوم بصفة عامة على توازن قوتين عظيمتين هما: الإمبراطورية الرومانية التي كانت تضم كل حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، و الأمبراطورية الفارسية التي كانت تمتد من نهر الفرات حتى حدود الهند من جهة أخرى. و كانت علاقة كل قوة بالأخرى بصفة عامة عدائية بسبب المناطق المتنازع عليها على تخوم الدولتين. و لهذا كانت العلاقات بينهما في الغالب علاقات نزاع و صدام و تداول.[١]

وكانت كفة الفرس هي الراجحة منذ عهد «جستنيان» إمبراطور بيزنطة. و كانت الدولة الفارسية وقتئذ في حالة انتعاش،فوجدت الفرصة مواتية للتوسع على حساب الدولة البيزنطية التي كانت في حالة تدهور و انحلال من كافة الوجوه و النواحي[٢].

إدالة الفرس على الروم

في سنة ٦١١م بدأ هجوم الفرس على الشام، حيث هزموا جيشاً بيزنطيا بالقرب من أنطاكية سنة ٦١٣ م.[٣] ونتيجة لهذا الانتصار اندفع الفرس في كل اتجاه، فبعد الاستيلاء على أنطاكية تقدموا جنوبا فاستولوا على دمشق، و توغلوا شمالا في إقليم قليقية، و استولوا على طرسوس، ونجحوا في طرد البيزنطيين من أرمينية [٤]. وبعد دمشق دخل الفرس إلى فلسطين فاستولوا على مدينة بيت المقدس بعد حصار دام ثلاثة أسابيع في سنة ٦١٤ م. و ظلت بيت المقدس لعدة أيام مسرحا لسفك الدماء و الحرائق و السلب و النهب، فسلبت كنوز الكنائس، و أصاب التدمير كنيسة القيامة التي شيدها قسطنطين العظيم [٥]. وزاد الفرس من إذلال البيزنطيين ، إذ حملوا الصليب المقدس أعظم أثر عند المسيحيين إلى بلاد فارس.[٦]

(١) وسام فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية،ص ١٤٧ .

(٢) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠١.

(٣) وسام فرج: دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٠١.

(٤) جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٢.

(٥) وسام فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٠.

(٦) جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٢.

وكانت هذه الانتصارات حافزا للفرس على التوغل داخل حدود الدولة البيزنطية، حتى وصلت جيوشهم سنة ٦١٥م إلى شواطئ البوسفور، و عسكروا عند كريوبوليس المواجهة للقسطنطينية. ومن هذا المركز الحيوي بالنسبة لبيزنطة أملى كسرى شروطه على هرقل[١].

وزادت الكوارث التي أصابت بيزنطة، حيث بدأ الفرس سنة٦١٦م غزو مصر، أغنى ولايات الإمبراطورية، ومصدر إمداد العاصمة بالقمح. وهكذا أصبح الفرس يسيطرون على كل الشرق الأدنى[٢]. وأمام هذه الأخطار الخارجية، وبسبب ظروف الإمبراطورية الداخلية، وجد الإمبراطور البيزنطي «هرقل»(٦١٠-٦٤١م) نفسه مضطرا إلى خوض صراع مرير وطويل ضد الفرس بعد أن يئس من قبولهم لطلب الصلح الذي تقدم به إليهم لتهدئة الأوضاع. إذ كان الرد الوحيد الذي يلقاه من كسرى الثاني أبارويز(ت٦٢٨م) هو: «لن أدعك حتى تنبذ وتتبرأ من هذا المصلوب الذي تقول أنه الله، وحتى تخر ساجدا أمام الشمس»[٣]. أمام هذا الموقف، وقفت الكنيسة البيزنطية إلى جانب الإمبراطور، وقدمت كنوزها و نفائسها سلفة إلى الدولة لمواجهة نفقات الحرب. وكان لهذه الإجراءات أثرها في إنقاذ خزانة الدولة وإعداد الجيوش و الأساطيل لقتال العدو[٤].

إدالة الروم على الفرس

وفي خريف سنة٦٢٧م بدأ هرقل هجومه الكبير والحاسم جنوبا في اتجاه قلب الإمبراطورية الفارسية. ومع بداية كانون الأول(دجنبر) كان هرقل قد وصل أمام نينوى. وهناك دارت المعركة الفاصلة الهامة بين القوتين الكبيرتين، وحسمت نتيجتها لصالح الروم البيزنطيين. وفي هذه المعركة قضى هرقل على الجيش الفارسي و ألحق به أعنف هزيمة، وحقق لبيزنطة أعظم انتصاراً.ففي مطلع سنة٦٢٨م استولى على دستاجرد، وكانت المكان المفضل لإقامة الملك الفارسي، و اضطر كسرى للتراجع إلى عاصمته المدائن[٥]

(١) إسمنت غنيم : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٩.

(٢) وسام فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥١.

(٤) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٤-١٠٥.

(٥) وسام فرج: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٥.

وبعد ربيع سنة٦٢٨م وقعت أحداث هامة داخل مملكة الفرس وضعت نهاية للقتال الدائر، إذ قامت ضد كسرى ثورة داخلية وقبض عليه وقتل، فقام ابنه»كافاد شيرويه» الذي خلفه بعرض الصلح على هرقل.[١]

ونتيجة لانتصارات الروم و الانهيار الكامل للفرس، استطاع هرقل استرجاع كل الأقاليم التي استولى عليها الفرس وهي: أرمينية، و الجزيرة، و الشام، و فلسطين، ومصر. وبمجرد هزيمة الفرس أرسل هرقل إعلانا بالنصر إلى القسطنطينية وصف فيه نجاحه ضد الفرس، وأعلن نهاية الحرب[٢].

وبعد أن خرج الفرس من كل الأقاليم التي استولوا عليها، ذهب»هرقل» في ربيع سنة٦٣٠م إلى بيت المقدس و دخلها[٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الدائرة بين الفرس و الروم معلنا أن النصر سيكون حليفا للروم في النهاية بعد هزيمتهم من قبل الفرس. قال تعالى: {ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم}[الروم:١-٥].

ووجه الإعجاز ها هنا أنه لم يتوقع أحد أن يكون النصر حليفا للروم؛ فقد كانت فارس حينئذ قاهرة لهم، حيث بلغت دولة الروم من الضعف حدا يكفي من دلائله أنها غزيت في عقر دارها وهزمت في بلادها وفي أحب البقاع إليها:بيت المقدس، في المنطقة المحيطة بالبحر الميت، وعبر القرآن عن ذلك بقوله:{في أدنى الأرض}[الروم:٣].

و لما نزلت هذه الآيات، كذب المشركون بهذا الوعد الإلهي بنصر الروم في بضع سنين، وتراهنوا مع المسلمين على تكذيبه؛ إذ لم يكن أحد منهم يظن أن تقوم للروم قائمة بعد الغزو الذي حصل لها في عقر دارها من قبل الفرس. ولكن الله تعالى القادر المطلع على الغيب لا يخلف وعده، فتحقق النصر للروم على الفرس بعد بضع سنوات من تلك الحادثة، بل وتحققت النبوءة القرآنية بتحقق نصرين في وقت واحد: نصر الروم على الفرس، ونصر المؤمنين على المشركين يوم بدر طبقا لما جاء في قوله تعالى:{وهم من بعد غلبهم سيغلبون في

(١) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٦.

بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله}[الروم:٣-٤].[١]

و هذا يستحيل أن يتنبأ به بشر؛ لأنه ربط لأمور في الغيب، ولحوادث لا صلة لإحداها بالأخرى؛ فلا توجد أسباب ووسائل تربط بين معركة المسلمين مع قريش ومعركة الفرس مع الروم. والعجيب أن الروم كانوا قد بلغوا من الضعف حدا كبيرا كما سبق ذكره، حتى غزوا و هزموا في عقر دارهم. وهذا يجعل المتنبأ يحجم عن الكلام في انتصارهم على الفرس، فسبحان العليم الخبير المحيط بكل شيء. و قد يسأل البعض : لماذا قال الله عز وجل { في بضع سنين}، ولم يحدد الوقت تحديدا أدق من هذا، في يوم كذا في شهر كذا في عام كذا، وهو سبحانه العليم الخبير؟ و الجواب على هذا الأمر يرجع إلى المتلقين للنبأ، فالناس في حساباتهم لا يجرون على وتيرة واحدة، فمنهم من يحسب بالشمس، ومنهم من يحسب بالقمر، ومنهم من يكمل الكسور، ومنهم من يلغيها. فكان مقتضى الحكمة التعبير باللفظ الصادق على كل تقدير ليكون أقطع للشبهة وأبعد عن الجدل. ثم إن الحرب امتدت بين الفرس والروم أياما وشهورا كما سلف. ولذلك لم يقل تبارك وتعالى »بعد بضع«، و إنما قال جل ثناؤه {في بضع}. وفي الآية الكريمة أيضا لمحة طريفة في قوله تعالى:{ في أدنى الأرض}، ويقصد بها المنطقة المحيطة بالبحر الميت. وقد ثبت علميا أنها أدنى بقعة، أي أخفض بقعة على اليابسة.[٢]

تجميع يهود الشتات في فلسطين

لقد رسم الكتاب العزيز خريطة مستقبل اليهود، و أنزل ذلك عليهم في كتابهم، وقصه علينا القرآن الكريم في أوائل سورة الإسراء، قال تعالى : {فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا} [الإسراء: ٧]. وفي أواخر سورة الإسراء قال تعالى :{وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا}[الإسراء:١٠٤].

ونستطيع أن نفهم وجه الإعجاز في هذه الآيات الكريمة؛ إذ يكشف لنا القرآن الكريم عن مستقبل اليهود الذي ينبأ عن فساد آخر معه علو كبير. ويبدو أن الفساد الثاني المقرون بالعلو

(١)انظر الترمذي : السنن، رقم الحديث ٣١٩٢، ج ٥ ص ٢٥٢. وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٣٠٣ – ٣٠٤. حديث حسن

(٢) زين محمد شحاتة : أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم والحديث الصحيح، ص ٣٩١ -٣٩٢..

هو فسادهم الآن الذي ملأ الدنيا في هذا العصر، بعد أن أسسوا دولتهم في أرض فلسطين السليبة. فهم ينتظرون وعد المرة الثانية التي جاء التعبير عنها بوعد الآخرة (أي الثانية).

و نلاحظ في وعد المرة الآخرة هذا أن الله عز وجل يأتي بهم لفيفا من مواطن تقطيعهم في الأرض(أي من مواطن الشتات) إلى فلسطين في أرض الشام.و معنى اللفيف في اللغة: القوم يجتمعون من قبائل شتى فيهم الشريف و الدنئ و المطيع و العاصي والضعيف و القوي.[١] وهذه التعريفات لكلمة اللفيف تنطبق على الأخلاط اليهودية التي أتت بمئات الألوف من الشرق و الغرب من مختلف بلدان العالم، واجتمعت لإقامة الكيان الصهيوني، وتجتمع في عصرنا هذا لدعم دولة إسرائيل المحتلة بالرجال و العتاد، وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. فالدلائل الواقعية تشير بقوة إلى أن اليهود في هذا العصر سعوا بكل ما أوتوا من قوة لتهيئة كل ما يلزم لتنفيذ وعد الآخرة(الثانية) عليهم. فقد خططوا بكل ما أوتوا من دهاء ومكر لتأسيس نواة لدولة يهودية كبيرة ذات علو في الأرض، أغرت ولا زالت تغري عددا كبيرا من يهود الشتات أن يهاجروا إليها. وتم ذلك بمساعدة أمم ذات قوى كبرى في الأرض. ففي عام ١٩١٧م (١٣٣٦هـ) لم تتفق الرأسمالية و الشيوعية- وهما قوتان متضادتان- إلا على مسألة واحدة وهي السماح لليهود بإقامة كيان ودولة في فلسطين[٢] . فحين احتلت بريطانيا فلسطين و انتزعتها من الحكم العثماني بعد الحرب العالمية الأولى، كان اليهود وقتئذ يشكلون أقلية عددية بالنسبة لسكانها العرب، أي نسبة ١٠٪ فقط. وتحت الاحتلال البريطاني حدثت زيادة رهيبة في أعداد اليهود بسبب الهجرة الجماعية الضخمة إلى فلسطين، حيث نسقت بريطانيا مع الصهيونية لإغراق فلسطين باليهود القادمين من كل مكان. وكانت القنصليات البريطانية في أنحاء العالم تمنح اليهود تأشيرات دخول إلى فلسطين، كما أصدرت السلطات البريطانية في فلسطين قانونا لتيسير تدفق المهاجرين إليها، فأخذ يهود الشتات يأتون من كل حدب و صوب[٣] .

ومنذ قيام دولة اليهود في فلسطين عام١٩٤٨ م (١٣٦٨هـ)، و اليهود يجتمعون فيها من كل أنحاء العالم.فمن مجموع٢ .٥٠٠٠٠٠ يهودي في فلسطين جاء: [٤]

(١) ابن منظور : لسان العرب، ج ٣ ، ص ٣٨١، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٢٠٧.

(٢) انظر كتاب المؤلف : تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية، ص ٦٨.

(٣) عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص ٦٦١ – ٦٦٢.

(٤) إبراهيم الشريقي : دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل، ص ٦٠.

١,٥٦٠٠٠٠	من الاتحاد السوفياتي وبلدان أوربا الشرقية
٣٥٠,٠٠٠	من الأقطار الأسيوية و الإفريقية
٣٠٠,٠٠٠	من أوربا الغربية
٧٠,٠٠٠	من أمريكا الشمالية
٢٢٠,٠٠٠	يهود عرب

وكان الإتحاد السوفياتي مصدر أكبر عملية تهجير لليهود في عقد السبعينات عن طريق النمسا بالاتفاق مع رئيس وزرائها الهالك كرايسكي. و يكون بذلك عدد الذين أتوا من الاتحاد السوفياتي من اليهود منذ عام ١٩٧١م إلى عام ١٩٨٠م؛ ٢٥٥,٣٨٣ مهاجر، أي أكثر من ربع مليون، حسب الجدول الآتي[1]:

السنة	عدد المهاجرين	عدد الذين وصلوا إلى فلسطين المحتلة
١٩٧١	١٣,٠٠٠	١١,٥٠٠
١٩٧٢	٣٢,٠٠٠	٣١,٦٥٢
١٩٧٣	٣٥,٠٠٠	٣٣,٤٧٧
١٩٧٤	٣٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
١٩٧٥	١٣,٠٠٠	١١,٤٥٩
١٩٧٦	١٤,٣٨٣	١٤,٠٠٠
١٩٧٧	١٧,٠٠٠	٠٨,٣٨٣
١٩٧٨	٢٩,٠٠٠	١٢,٠٠٠
١٩٧٩	٥١,٠٠٠	١٧,٠٠٠
١٩٨٠	٢١,٠٠٠	١٢,٥٤٢

وتجدر الإشارة إلى أن إغراءات الظفر المؤقتة لليهود على المسلمين في عدة معارك حين انحرف هؤلاء عن منهج الله في عقيدتهم وسلوكهم رافعين لافتات جاهلية كالقومية

(١) صحيفة يدعوت أحرونت، ١٣ آذار (مارس) ١٩٨١ م.

و الاشتراكية و الليبرالية أغرى المزيد من شتات اليهود ليهاجروا إلى موطن المعركة القادمة، حتى يلاقوا مصيرهم المنتظر الذي هو قادم لا محالة بإذن الله تعالى، تحقيقا من الله عز وجل لوعيده في القرآن لهم:{ فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم و ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة و ليتبروا ما علوا تتبيرا} [الإسراء:٧]

و يبدوا من سياق النص أن الذين يسؤون وجوه اليهود(أي يهينوهم ويقهروهم) وليتبروا ما علوا تتبيرا (أي يدمروا ويخربوا ما ظهروا عليه) هم المسلمون. ويشير قول الله عز وجل (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) ضمنا إلى أن المسلمين هم المعنيون في النص أيضا؛ لأنهم هم الذين يحرصون على دخول المسجد الأقصى معظمين له، ومطهرين ساحاته وجنباته من رجس الذين كفروا، كما دخلوه أول مرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)،

ويدخلونه ثاني مرة حين يحكمون الإسلام في حياتهم عقيدة وشريعة، وفكرا وسلوكا.

بل هناك دليلا نصيا يبين بوضوح المعنيين بالمواجهة مع اليهود في (وعد الآخرة) وهم المسلمون، في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)

قال : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[١]

وهذه من الأمور الغيبية التي لم تقع بعد، وسيتحقق وقوعها بإذن الله كما أخبر الوحي. وقد رأينا المقدمات، و النتائج مبنية عليها لا محالة.

إنجاء بدن فرعون

قبيل خروج روح فرعون اللعين قال له الحق سبحانه و تعالى:{فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية}[يونس:٩٢].وفي عصر نزول القرآن الكريم على النبي (صلى الله عليه وسلم) كان كل شئ مجهولا عن هذا الأمر؛ فلم تكتشف جثث الفراعنة إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط والساعة، رقم ٢٩٢٢، ج ٤، ص ٣٩ – ٢٢.

و بالتالي فإن جثة فرعون موسى التي ما زالت ماثلة للعيان إلى اليوم شهادة مادية لجسد محنط لشخص طغى و تجبر وادعى الربوبية والألوهية، وعارض طلبات الرسول المرسل إليه، بل وطارده في هروبه ومات في أثناء تلك المطاردة، وأنقذ الله تعالى جثته من التلف لتصبح آية للناس كما ذكر القرآن الكريم.

فماذا حصل لفرعون بعد غرقه وإلقاء جثته على الشاطئ؟ لقد أخذ قومه جثته وحنطوها، ووضعوها في مدافن الأسرة الفرعونية بجانب جثث ملوك الفراعنة الذين ماتوا قبله[١].

وكان المصريون في العهد الفرعوني يتقنون فن التحنيط. والتحنيط هو : حفظ هيكل جسم الميت بتخليصه من المواد الرخوة من جلد وغشاء، و تطهير جوفه بمواد خاصة.[٢]

و هو مهارة متقدمة تسجل للمصريين زمن الفراعنة في ذلك الزمن السحيق، حيث كان يجهل التحنيط الأقوام الذين عاصروهم والذين جاءوا بعدهم. ولذلك حفظوا جثث فراعنتهم المحنطة في الأهرامات المعروفة، وفي المقابر الملكية. وبقيت تلك الجثث موجودة حتى عثر عليها علماء الآثار في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي و بداية القرن العشرين[٣].

وكان من الجثث التي عثروا عليها جثة هذا الفرعون الذي قال له الله تعالى قبل أن يموت غرقا:{فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية}[يونس:٩٢].

ومن وجوه الإعجاز في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم ينج جثته لمعاصريه فقط لتكون لهم آية، و إنما أنجى جثته من الفناء، و بقيت محفوظة في مقابر وادي الملوك في «طيبا» بالضفة المقابلة للأقصر من النيل كما يقول علماء الآثار، حتى أخرجت من هناك ورآها الناس في عصرنا في حالة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة.

وقد جاء مفهوم إنجاء البدن على نحو واسع:

- فلم يترك بدنه يغوص في قعر البحر، ولم يترك طعاما للأسماك، وإنما ألقي على شاطئ البحر.

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني : عرض وقائع وتحليل أحداث، ج ٢، ص١٠٦.

(٢) إبراهيم مصطفى و آخرون: المعجم الوسط،ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) صلاح الخالدي: القصص القرآني: ج٢، ص١٠٦

- وعلم الله تعالى قومه فن التحنيط و ألهمهم تحنيطه و إزالة ما يسرع الفناء منه ودفنه في مقابر خاصة محفوظة.
- و أبقى جل علاه بدنه محفوظا آلاف السنين لم تصله عوامل الفناء و الذوبان و التلاشي الطبيعية (الحرارة، الهواء) و البشرية(اللصوص) والحيوانية(القوارض).
- ألهم جل ذكره علماء الآثار اكتشاف بدنه المحنط في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ووضع في متحف الآثار ليراه الناس[١].

و بهذا المفهوم الواسع للانجاء يكون قوله تعالى: ﴿ لمن خلفك﴾ عبرة للناس:

- قومه معاصروه الذين كانوا يؤلهونه عندما يشاهدون بدنه لعلهم يتعضون.
- بنو إسرائيل معاصروه الذين شهدوا مصرعه فزدادوا شكرا لله تعالى.
- الناس القادمون بعد الآف السنين من مصرعه، سيشاهدون جثته المحنطة المحفوظة.[٢]

ومن وجوه الإعجاز كذلك في هذه الآية الكريمة:

- أن اكتشاف جثة فرعون عام ١٩٩٨م على يد عالم الآثار الغربي»لوريت»،[٣] و بقاؤها معروضة في متحف القاهرة يشاهدها الزائرون والسواح آية بينة واضحة على صدق نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ فالله تعالى هو الذي أخبره بتفاصيل غرق فرعون، وإنجاء جثته. ولو لم يكن رسولا نبيا لما علم بذلك؛ لأنه أمي لم يتعلم من أحد، ولم يتلق هذه المعلومات من أحد، لا سيما وأن كتب التاريخ و أهل الكتاب لا تتحدث عن هذه الجزئية المفصلة لغرق فرعون، حيث اختص بها القرآن الكريم.
- وأن القرآن المجيد هو كلام الله تعالى، وليس كلام البشر،ويعد ما ذكر آنفا آية على صحة وصدق الأخبار التاريخية التي أوردها و ذكرها. فقد ذكر القرآن الكريم أن

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج ٢. ص١١٠.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص١١١

(٣) موريس بوكاي: الثوراة و الإنجيل و القرآن والعلم، ص ٢٠٩.

الله عز وجل قد أنجى جثة فرعـون و أبـقـاها عبرة لمن خلفه، و اكتشفت هذه الجثة بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن، فجاء هذا الاكتشاف شاهدا على إعجاز ما أخبرت عنه الآيات.

تغيير لقب الحاكم من ملك إلى فرعون

لقد عاش النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمة أمية منغلقة في شبه جزيرة العرب، تقوم أحيانا فيها دويلات صغيرة ثم تنهار بعد زمن يسير؛ لأنها تفتقد مقومات الدولة. و كان الحكم فيها لعادات و تقاليد القبيلة، لا تعرف إلا اليسير عن العالم الخارجي و أنظمة الحكم السائدة في عصرها، بله الكيانات السياسية الموغلة في القدم في العصور الخوالي. ومن الملفت للنظر أن آيات القرآن الكريم أشارت إلى تغيير نظام الحكم في مصر القديمة؛ فقد كان حاكم مصر زمن يوسف(عليه السلام) يلـقب «بالملـك» كما جـاء فـي سـورة يـوسف: {وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي} [يوسف: ٥٤]. ولما أخبر الكتاب العزيز عن اضطهاد بني إسرائيل بعد ذلك أطلق على حاكم مصر لقب « فرعون» : {وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه} (الآية) [غافر:٢٦].

فما سر تغيير لقب حاكم مصر من الملك إلى فرعون؟ لقد ذكر المؤرخون أن قبائل عربية ذات أصل سامي قدمت من آسيا يطلق عليها الهكسوس[١]، احتلت مصر، ودام حكمها لهذا البلد عدة أجيال[٢] .

وقد عثر على أثر تاريخي لملك من عهد الهكسوس منقوش عليه إسم يعقوب حر (يعقوب آل) إشارة إلى تبوء أحد بني إسرائيل الملك في ذلك العصر.و هذا يتناسب مع دخول بني إسرائيل إلى مصر وقتئذ[٣].

(١) يقول إيمانويل فلا يكوفسكي أن الهكسوس هم العماليق و هؤلاء قبيلة عربية قديمة سادت جزيرة العرب من قديم الزمن. أنظر كتابه : عصور في فوضى: من الخروج إلى الملك أخناتون، ص٨٧، ١١٧.

(٢) جيمس هرني برستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ص١٨٠. ووفلايكوفسكي: عصور في فوضى، ص٨٣ ، ٩٣، ١١٥.

(٣) برستيد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور،ص ١٨٢ (بتصرف).

ووفقا لهذا الاستنتاج، كان عبرانيو مصر عربا تابعين لسلطة إمبراطورية الهكسوس. ولا يستبعد أن يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سببا في تلقيب تلك الامبراطورية دولة الرعاة[١].

و بناء على هذا، يكون بنو إسرائيل قد دخلوا مصر زمن الهكسوس العرب، و يكون حكام مصر وقتها ملوكا عربا، ويكون يوسف(عليه السلام) وزيرا للملك العربي الذي حكم مصر. ويكون هذا هو سر تكريم ملوك الهكسوس لبني إسرائيل، على إعتبار أن الفريقين جاءا من جنوب بلاد الشام، و أنهما ليس من أهل البلاد الأصليين[٢].ثم قام المصريون بثورة وطنية بقيادة»أحمس» أحد أفراد الأسرة الفرعونية الحاكمة من قبل، فطردوا الهكسوس من العرب، و أعادوا الحكم إلى الفراعنة[٣] .

و يستنتج من هذا أن ثورة الفراعنة بقيادة»أحمس» على الهكسوس ثورة على الإسرائيليين أيضا، حيث اعتبروا عملاء للمستعمرين الهكسوس، و يكون هذا هو سر اضطهاد الفراعنة للإسرائيليين بعد طرد الهكسوس[٤].

ووجه الإعجاز ها هنا أن القرآن الكريم فرق بين حقبتين مختلفتين، إحداهما كان فيها الحكم»للملك» وهي كلمة عربية أصيلة، ولعل إطلاقها على حاكم مصر زمن يوسف (عليه السلام) دليل على أن حكام مصر وقتها كانوا عربا.

أما «فرعون» فإنها كلمة أعجمية ليست مشتقة[٥]. ولعل إطلاقها على حاكم مصر زمن اضطهاد بني إسرائيل دليل على عودة مصر إلى الفراعنة.

على أن الإجابة على هذا الإشكال لم يعرفها علماء الآثار إلا منذ عهد قريب بعد اكتشاف حجر رشيد ومعرفة الكتابة المصرية القديمة. فلقب «فرعون» اختص به الحكام المصريون الأصليون فقط، ومعناه الباب العالي. أما الحكام الجانب لقد كانوا يلقبون بلقب «ملك» .

---

(١) المرجع السايق، ص ١٨٢،(بتصرف) .

(٢) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج ٢ ، ص٢٦١-٢٦٢.

(٣) فلايكوفسكي: عصور في فوضى، ص ١٠٣ . ويرستيد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور،ص١٨٧، و نبيلة محمد عبد الحليم: مصر القديمة: تاريخها و حضارتها، ص ٢٥٦..

(٤) صلاح الخالدي: القصص القرآني،ج٢، ص٢٦٢.

(٥) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٦٣٢.

وعندما جاء يوسف (عليه السلام) إلى مصر لم يكن حاكم مصر من المصريين وإنما كان من الرعاة الهكسوس، ولذلك لقب بالملك. أما في أيام موسى (عليه السلام) فقد كان الحاكم مصريا ولم يكن أجنبيا، ولذلك لقب بالفرعون.[١]

خاتمة

إن المهتم بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا بد أن يوقن بأن هذا الكتاب العظيم من علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شئ علما. وهو معجزة خالدة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) النبي الأمي الذي كان يعيش وقت نزول القرآن في قوم لا يعرفون الكتابة إلا ما ندر، لا علم لهم بأخبار و تاريخ القرون الخالية، فكيف بمد البصر نحو المستقبل واستكشاف كنهه.

على أن العلم و التاريخ ليقدمان شهادات مستمرة على صدق وصحة ما ورد في القرآن الكريم من أخبار ومعلومات علمية. و هذه الشهادات سواء كانت ذات صلة بعلم الغيب وما سيحدث في المستقبل مما يعزب عن علم البشر، أم كانت ذات صلة بأخبار الماضي السحيق وقصص الأمم الخوالي،لهي آيات وبراهين جديدة تثبت قطعا أن القرآن الحكيم كلام الله تعالى، وكل ما فيه معجز حقا، وصدق و صواب، و أن محمدا رسول الله أوحى الله تعالى له بهذا الكتاب و النور المبين.

www.eajaz.org

(١) زين محمد شحاته: أسماء الله الحسنى، ص ٣٨٧.

كشف المصادر والمراجع

أحزون، محمد
تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

برستيد، جيمس هنري
تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ترجمه إلى العربية حسن كمال، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

بوكاي ، موريس
التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم، ترجمه إلى العربية: مجلة الفكر الصادرة عن دار الفتوى بلبنان، بيروت: دار الكندي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة(ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
السنن، تحيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي؟

الخالدي، صلاح عبد الفتاح
القصص القرآني، عرض وقائع و تحليل و أحداث، دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني(ت ٢٨٠هـ)
السنن،دار الكتب العلمية؟.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)
المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر؟.

شحاته، محمد زين
أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم و الحديث الصحيح، بيروت: دار خضر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

عبد الحليم، نبيلة محمد
مصر القديمة تاريخها و حضارتها، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية التربية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

عمر، عبد العزيز عمر
دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

غنيم، إسمت
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ)
معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م

فرج، وسام عبد العزيز
دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

فلايكوفسكي، إيما نويل
عصور في فوضى: من الخروج إلى أخناتون، ترجمه إلى العربية رفعت السيد، القاهرة: سينا للنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي(ت ٧٧٤هـ)
تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر و التوزيع، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م.

مسلم بن الحجاج(الإمام)، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)
الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م.

مصطفى، إبراهيم(و آخرون)
المعجم الوسيط بيروت: دار الفكر؟

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري المصري(ت ٧١١هـ)
لسان العرب، إعداد يوسف خياط،، بيروت: دار لسان العرب؟

يدعوت أحرونوت،(صحيفة) ١٣، آذار (مارس) ١٩٨١م.

www.eajaz.org